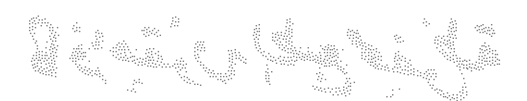


لا يُصلِح هذه الأُمّة
إلا ما أصلح أوَّلها

كتبه:
عبد الله بن محمد الغنيمان

لينة للنشر والتوزيع



لا يصلح هذه الأمة

إلا ما أصلح أولها

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

الناشر

دار البينة للنشر والتوزيع

مصر - دمنهور ت: ٠٤٥/٣٢٨١٩٩

لا يصلح هذه الأمة
إلا ما أصلح أولها

كتبه

عبد الله بن محمد الغنيمان

الناشر

دار السنة للنشر والتوزيع

- مصر - دمنهور ت: ٠٤٥/٣٢٨١٩٩


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه، ومذل من خالف أمره، واتبع هواه، أحمده على ما قدره وقضاه، وأشكره على نعمه التي لا تحصى وأسأله المزيد من فضله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فإن من رحمة الله ـ تعالى ـ بعباده أن بعث إليهم رسولاً من أنفسهم، يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، أي يعلمهم القرآن والسنة، ويزكيهم بالحث على طاعة الله والتحذير من معاصيه، وقد فعل والحمد لله، وأنزل ـ تعالى ـ عليه كتابه المبين، هدى للمؤمنين، وشفاء لما في الصدور من

الجهل والشك والريب، ومن تمام رحمته تعالى بهم أن تولى حفظه بنفسه قال جل وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٧ - ١٩].

ولما كان المسلمون متمسكين بكتاب ربهم متبعين تعاليمه، مهتدين بهداه، لم يكن أعداؤهم يطمعون بهم، فكان كتاب الله - تعالى - سداً منيعًا دون أعداء المسلمين الذين يجهدون أنفسهم في التلبيس على المسلمين، وصدهم عن دينهم، فكلما يمموا طريقًا وجدوه مغلقًا، أو سلكوا دربًا حصلوه موصداً، وذلك لأن المسلمين كانوا يفهمون كتاب الله ويعملون بما يأمر الله به، ويجتنبون ما نهاهم عنه.

محاولة أعداء الله القضاء على الإسلام بوسائل عديدة

لما ضعف المسلمون بابتعادهم عن كتاب ربهم، وسنة نبيهم، ولعبت بهم الأهواء ودخلت على بلادهم الفتن من أقطارها، وصار الحكم في شئونهم إلى القوانين التي وضعها البشر، وجد عدوهم إليهم منفذاً حيث أصاب منهم غرة وغفلة بسبب جهلهم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ـ فَلُبِّسَ عليهم الأمر، وساء فهمهم للإسلام، وأصبح جمهور المسلمين لا يعرفون من الإسلام إلا الأوضاع التي وجدوا عليها أهل بلادهم مما زينه لهم عدوهم موهمًا لهم أنه من الدين ومما يقرب إلى رب العالمين، وهو بعكس ذلك، وجَدَّتْ حملات التنصير والتضليل تصور لهم الإسلام على غير حقيقته. وبذلك وجد أعداء الإسلام

ثغرات ومداخل لإفساد دين الإسلام، بتزيين البدع، وتحسين ما جاءت به أفكار أهل الغرب والشرق، من يهود ونصارى ومجوس وملاحدة، وساعد على ذلك أهل النفاق وأمراض القلوب، وعباد الشهوات ممن هو محسوب على المسلمين، بل صار هؤلاء أشد نكاية بالمسلمين من الكفار، لأنهم تربوا بمدارس أعداء الإسلام والمسلمين، فزينوا لهم ما عليه النصارى والملاحدة، من المبادئ والأفكار البعيدة عن دين الله كل البعد وأوهموهم أن ما بأيديهم من الصناعات ونظم الحياة الدنيا، والعلوم المادية دليل على أن دينهم ونظمهم التي تخلوا بها عن دين الله هي التي تصلح لمسايرة التقدم والحياة الجديدة، وأن الإسلام يحول بين المسلمين وبين الحياة السعيدة في هذه الدنيا، ويمنعهم من إدراك العلوم التي يسايرون بها الغرب والشرق، وأوحى شياطين الإنس بعضهم إلى بعض زخرف القول للتغرير والتزوير.

من وسائلهم في محاربة الإسلام

قالوا: مثلاً، الإسلام يمنع المرأة من الخروج والعمل في المصانع ونحوها، ويجعلها رهن البيت سجينًا مقهوراً، لا تستطيع الحول والطول، وبذلك انشل المجتمع بتخلف نصفه عن العمل.

وانضاف إلى هذه الدعاوى صرخات من نصبوا أنفسهم عملاء للماسونية واليهودية الماكرة التي تريد تمزيق الأخلاق، والقضاء على كل فضيلة، وكذلك النصرانية الحاقدة على الإسلام والمسلمين، فهؤلاء الذين يسمون بدعاة تحرير المرأة هم يخدمون أولئك الأشرار سواء عن علم وقصد أو عن غير علم وقصد.

وتحرير المرأة الذي ينادون به وإليه يدعون، قد عرف، وعرف مرادهم به؛ فالذي يهمهم أن تخرج المرأة من بيتها شبه عارية من اللباس، وأن تكون

بجوار الرجل تسايره أين كان، في المكتب، والمصنع، والمدخل والمخرج، حتى يمكن أن تكون نهبًا لذئاب الشهوات المسعورة من البشر، التي تريد إشباع غرائزها الشهوانية بأي وسيلة كانت.

ولذلك أصبحت دعواتهم تصم الآذان ومخططاتهم التضليلية الرهيبة تكاد تعضف بالمرأة، وتلفها في تيارها الذي يصب في جهنم، والواجب علينا أن نعتبر بالمجتمعات التي استجابت لهذه الدعوات التضليلية، كيف وقعت المرأة فيها فريسة لفساق البشر، وفقدت شرفها وكرامتها، ومعلوم أن تسوية المرأة بالرجل مكابرة للمعقول والمحسوس والفطرة، وخروج على دين الله وحكمه.

فالله تعالى جعل المرأة بصفاتها الخاصة بها صالحة لأنواع من المشاركة في بناء المجتمع الإنساني، لا يصلح له غيرها، كالحمل والإرضاع، وتربية الأولاد وخدمة

البيت، ونحو ذلك مما لا يستطيعه الرجل، ولا يناسب تكوينه الذاتي، وهي بعملها ذلك تؤدي خدمة عظيمة للمجتمع، في داخل بيتها في صيانة وستر، ومحافظة على عفتها وشرفها وكرامة زوجها وأهلها، بعيدة عن الذئاب البشرية الذين يريدونها مشاعًا لكل فاجر عاهر.

وزعمهم أن المرأة لها من الحقوق في بناء المجتمع خارج بيتها مثل ما للرجل دعوى كاذبة، فالمرأة متاع، بل هي خير متاع الدنيا، والخيانة فيها أخطر من الخيانة في غيرها، وأشد تعرضًا لذلك إذا خرجت من بيتها، كما في الحديث: « **إذا خرجت المرأة من بيتها متزينة استشرفها الشيطان** »؛ أي عظمها وزين ذلك لها واتخذها له مطية شريفة يلفت إليها أنظار حزبه الغاوين.

وإذا نظرت إليها العين الخائنة تمتعت بجمالها

بذلك النظر، وكذلك إذا مس شيئاً من بدنها تمتع بما لا يجوز أن يتمتع به إلا زوجها.

وعلى كل حال فخروجها من بيتها تعريض لها بأن تكون نهبة لكل خائن عاهر، كما هو الواقع في البلاد التي تخلت عن تعاليم الإسلام.

ودعواهم أن دوام خروجها واختلاطها بالرجال بادية الرأس والعنق والصدر والمعصم والساق ونحو ذلك؛ دعواهم أن ذلك يذهب إثارة الغرائز لدى الناظرين إليها، لأن الأمر كما قيل: إذا كثر الإمساس قل الإحساس - كلام فارغ من المعنى والحق، بل هو في غاية السقوط والكذب؛ لأن مفهومه إشباع الغرائز والرغبات منها، حتى يزول الأرب فيها لكثرة ما شبعت الغريزة منها، وليست مداومة الاختلاط والنظر تذهب إثارة الغرائز كما زعموا، فإن الرجل يبقى مع زوجته السنين الطويلة، ثم إذا نظر إلى شيء من محاسنها ثارت غريزته، كما هو معلوم لا ينكره

إلا مكابر، وعلى كلٍ الخير كله في تعاليم الإسلام في حق المرأة وغيرها.

سبب ضعف المسلمين

وما أصاب المسلمين الضعف إلا بسبب عدم تطبيق أحكام الإسلام، والتزام تعاليمه، فقد هان المسلمون على الله تعالى حينما هانت عندهم أوامره ونواهيه، فأصبحوا عرضة لكل فاجر وكافر يتصرف بهم وببلادهم؛ يسلبون خيراتها، ويفسدون فيها بنشر مجونهم وإلحادهم، ولقد كانت أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس يوم كانت تتشرف بقبول هذا الدين وحمل رسالته، والقيام بإبلاغه وتوصيله إلى الأمم الأخرى.

فيوم أن جانبت الأهواء والشهوات وأخلصت النية والقصد لله ـ تعالى ـ وعملت بصدق على تطبيق أحكام الإسلام كان الله معها، فنصرها وأعزها، ودان

لها الشرق والغرب، وانتشر توحيد الله وعبادته وحده في أنحاء المعمورة، وعم الخير والعدل والسلام؛ لأن الحكم صار لشرع الله تعالى وهو العليم بما يصلح الإنسان ويسعده.

واليوم وقد أصيبت هذه الأمة في أعز ما تملكه، وهو دينها الذي أعزها الله به وتخلت عن التمسك به، وخدعها أعداؤها بما يزينونه من زخارف المدنية وزيفها، فأقبل أكثر المسلمين على ما عند أعداء الإسلام المتربصين به، يأخذون ما عندهم من باطل وضلال، وقلدوهم في فسقهم وانحرافهم وأخلاقهم، بلا تفريق بين النافع والضار، فحل بهم الضعف والوهن، وذهبت ريحهم.

يكاد يجمع كبار مفكري العالم اليوم على أن الانحلال الذي يوشك أن يدمر المجتمع الإنساني؛ أن سببه فقدان الإيمان بالله الذي هو أبرز ظاهرة في صميم

الفطرة التي فطر الله عليها عباده، فإذا تخلى المرء عن الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر انحط إلى أسفل سافلين، فيصبح كأنه ترس في آلة، أو ذئب في غابة، أو شاة في قطيع، أو كلب مسعور، أو مجنون مخمور، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٤، ٥]؛ وذلك لأن الله تعالى خلقه لمعرفته وعبادته واتباع أمره وطاعته، فهو بذلك يكون في أحسن تقويم في خلقه وخلقه، فإذا تخلى عما خلق له فإن الله يعاقبه بمسخ أخلاقه، وفساد أفكاره وسلوكه.

والواقع اليوم يشهد لهذا، والأمثلة عليه كثيرة، نشرت الصحف قبل أيام أن مائة من المراهقين الأمريكيين اشتبكوا مع رجال الشرطة على ساحل كاليفورنيا وقلبوا سياراتهم وأشعلوا بها النار، كما أشعلوا النار بإحدى سيارات الإنقاذ من الغرق ثم

امتدت الاشتباكات وتحولت إلى شغب واسع النطاق بامتداد الشاطئ؛ والسبب في ذلك كله أن رجال الشرطة تدخلوا لمنع مجموعة من النساء من التجرد من ثيابهن أمام جموع المصطافين هناك. وأمثال ذلك كثير؛ فهذه البلاد التي تضرب مثلاً للتقدم الحضاري أخلاقهم أحط من أخلاق الكلاب؛ لأنهم فقدوا الإيمان، فالإيمان بالله تعالى هو القوة الرادعة عن كل فساد ورذيلة، وهو القوة الدافعة إلى كل خير وفضيلة، وبدونه لا تكون مروءة ولا كرامة ولا شرف، ومهما بحث الباحثون عن ملاذ، أو علاج لإنقاذ البشرية من مأزق التمزق والضياع، الذي يعيشه أغلبية الناس اليوم، فلن يجدوا سوى الإيمان بالله والرجوع إلى دين الإسلام فهو المنقذ الوحيد مما حل بهم.

كيف تعود عزة المسلمين إليهم

إن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها، والنصرة من الله تعالى، لا يستحقها المسلمون إلا إذا نصروا الله بإقامة دينه الذي أوجبه عليهم، والدعوة إليه بالجد والنصح والبذل للنفوس والأموال في سبيل ذلك، إذا كنا نريد العزة والقوة فلنغير ما بأنفسنا من الوهن وكراهية الموت، ولنقبل على الله صادقين. إن أحوال أكثرنا لا تُرضي الله ولا يرجى معها نصره، فمثلاً إذا سبرنا حال طالب العلم الذي يؤمل أن يكون أفضل الناس، فإذا هو يمضي في دراسته ما يزيد على عشرين عامًا؛ ستة أعوام في الابتدائي، وستة أخرى في المتوسط والثانوي، وأربعة في الجامعي، وستة في العالي أو أكثر، ثم إذا تحصل على أعلى شهادة وجدته غير متميز عن العوام وسائر الناس لا في مشيته ولا في هيئته، ولا في سمته ونطقه، بل قد لا يتميز

عنهم حتى في هيئة صلاته، وهذا هو الغالب على طلابنا، والسبب في ذلك أنهم لم يطلبوا العلم للعمل به، والتقرب إلى الله، وإنما طلبوه للدنيا، فسلبوا نوره وبركته، فإذا كان هذا حال طلبة العلم، فكيف ببقية الناس، ولهذا أصبنا بالاختلاف وتنافر القلوب، وأصبحنا غثاءً كغثاء السيل.

قال ابن مسعود: «لو أن أهل العلم صانوا علمهم ووضعوه عند أهله، لسادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم فهانوا على أهلها»، سمعت نبيكم ﷺ يقول: « **من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله هم آخرته، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها وقع** »[١]. وكان السلف كما قال أبو قلابة: « إذا أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادة»، وهكذا كان الصحابة

---

(١) ابن عبد البر في جامع بيان العلم ج ١ ص ١٨٧.

رضي الله عنهم كان أحدهم لا يتجاوز عشر آيات حتى يتعلم ما دلت عليه ويعمل بهن، فتعلموا العلم والعمل كما يتعلمون العلم.

وقال عبد الله بن عباس: «لو أن حملة العلم أخذوه بحقه وما ينبغي، لأحبهم الله وملائكته والصالحون، ولهابهم الناس، ولكن طلبوا به الدنيا، فأبغضهم الله، وهانوا على الناس»[١]. قال الشعبي: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به، وكنا نستعين على طلبه بالصوم»[٢]، وقال الإمام مالك: «إن حقًا على من طلب الحديث أن يكون له وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبعاً لآثار من مضى قبله». وعلى كلٍ الواجب على طالب العلم وغيره تقوى الله تعالى وحفظ حدوده وحقوقه، وأوامره

(١) المصدر السابق ص ٨٨.

(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ١١.

ونواهيه، كما وصى النبي ﷺ ابن عباس بقوله: « احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»؛ فيحفظ حدوده فلا يتجاوزها، ويحفظ أوامره فيمتثلها، ونواهيه فيجتنبها، وبذلك يستحق وعد الله تعالى في مثل قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٢ - ٣٥] فسر الحفيظ في هذه الآية بالحافظ لحدود الله، وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها، ولا منافاة بينهما.

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي من حديث ابن مسعود مرفوعاً: « الاستحياء من الله حق الحياء، أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى»، وحفظ الرأس وما وعى يلزم منه حفظ السمع

والبصر واللسان، من سماع المحرمات والنظر إليها فلا يستمع إلى ما فتن به أكثر الناس اليوم من الأغاني، ومزامير الشيطان فإنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتنبت في القلب النفاق وحب الباطل، وكراهية الحق وأهله، ولا تجتمع الأغاني في قلب مع كلام الله تعالى لأنهما متضادان، فكلام الله فيه الهدى والنور، وحياة القلوب، والأغاني تميت القلب نهائياً وتجعله منكوسًا، فيصبح الحق عنده باطلاً مكروهًا، والباطل مرادًا له محبوبًا.

ولا ينظر إلى ما حرم الله، أو ما هو داع إلى مواقعة المحرم، كالنظر إلى النساء المحرمات عليه، ونحو ذلك مما يدعو النظر إليه إلى ما هو أعظم من الفواحش، وكالصور الخليعة التي قصد بها هتك أخلاق الشباب المسلم، وإيقاعهم في حبائل الشيطان بإثارة غرائزهم، وكوامن شهواتهم، أو النظر إلى

الداعيات إلى الدعارة والفجور اللاتي يعرضن أنفسهن في التلفاز، عاريات، أو شبه عاريات، وأقل ما يقال في ذلك أن المرء يجب عليه أن يعرض عنه بنفسه، ومن يستطيع حمايته من هذا الوباء الفتاك الذي يقضي على أخلاق المجتمعات[1].

ولما كان مبدأ الفساد من قبل النظر المحرم أمر الله ـ تعالى ـ المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، وأخبرهم أنه تعالى عليم بأعمالهم، مطلع عليها ليستحيوا منه تعالى.

وفي الحديث الذي رواه الأم أحمد « **والنظرة سهم من سهام إبليس** »، والنظر يتولد عنه الأفكار الرديئة، ثم لا تزال تلك الأفكار الرديئة بصاحبها حتى تكون إرادات وعزائم، فيسعى بذلك إلى عمل

(١) وقد وجد ما هو أدهى وأمر من التلفاز، هذه الأطباق التي تنقل بواسطتها محطات أوروبا وأمريكا، وغيرها مما هو مدمر للأخلاق، وناشر للعهر والفجور.

الخنا والفجور حتى يقع فيه، ثم يصبح أسيراً للشيطان وشهواته، فيهلك مع الهالكين.

ومما يجب حفظه اللسان، فيجب أن يحفظ عن قول الزور، والسباب والشتم، والنميمة والغيبة، وقول الباطل، وكل ما لا فائدة فيه، فإن ذلك عمل اللسان، وهو محفوظ عليه مسجل، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١].

وقد كثر وقوع غالب الناس في الغيبة والنميمة، حتى فشت في طلبة العلم، مع ظهور الأدلة على تحريمهما، وعظم الوعيد عليهما كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة نمام»،

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢]، يعني أن اغتياب الإنسان لأخيه كأنه يأكل لحمه بعد موته، وهذا

في غاية الشناعة والقبح، فكيف يقدم العاقل على ذلك. وقد فسر رسول الله ﷺ الغيبة بأوضح ما يكون فقال: « **الغيبة ذكرك أخاك بما يكره** » وذلك في حال غيبته، قالوا: أرأيت إن كان فيه ما أقول ؟ قال: « **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته** »، أما النميمة فهي نقل الحديث إلى الغير على وجه الإفساد، وعلى كل فخطر اللسان عظيم، وهو أولى الأعضاء بالحفظ والمراقبة، وقد ثبت في الصحيحين أن النبي ـ ﷺ ـ قال: « **إن العبد**

ليتكلم الكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً، يهوي بها في نار جهنم»، وفيهما أن أبا هريرة سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق»، وفيهما أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»، فخطر اللسان عظيم، فمن كان تعز عليه نفسه فلا يطلق لسانه بكل ما يخطر له، فإنه بذلك يورده المعاطب، وانظر إلى ما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله تعالى: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان، قد غفرت له، وأحبطت عملك» وجاء أن هذا القائل كان عابداً مجتهداً، فأحبط عمله بكلمة واحدة، ربما قالها غيرة على محارم الله،

وغضبًا لله تعالى ومع ذلك ذهبت تلك الكلمة بدنياه وآخرته، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه.

فعلى المؤمن أن يكون حذرًا خائفًا، حافظًا للسانه وسائر جوارحه من الوقوع بما يسخط الله عز وجل، وإذا تكلم يكون كلامه فيما ينفع من ذكر الله تعالى، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه؛ اضمن له الجنة**»، وما بين اللحيين يتناول ما يتكلم به وما يأكله، فمن حفظ منطقه من الكلام السيئ، وحفظ مطعمه من الحرام فقد حفظ ما بين لحييه، وحفظ الفرج يترتب على حفظ البصر والسمع عن الحرام، وكذلك حفظ القلب من الأفكار الرديئة، بأن يطردها بخوف الله ومراقبته، وبذلك يحفظ فرجه، أما إذا أطلق نظره، ولم يمتثل قول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[النور: ٣٠]

وأطلق سمعه إلى سماع الأغاني فإنها تدعوه إلى الفجور.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: « سئل رسول الله ﷺ .ما أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: **الأجوفان، الفم والفرج**»[١]، قال التزمذي حسن صحيح.

كذلك مما يجب على العبد أن يحفظه بطنه، فلا يدخل فيه محرمًا من المآكل والمشارب فإن الجسد الذي يتغذى بالسحت فإن النار أولى به.

وأكل الحرام وشربه يحول بين العبد وربه، فلا يستجيب دعاءه، ولا يقبل عمله، كما في الحديث المشهور، عن النبي ﷺ: « حينما ذكر الرجل الذي **يطيل السفر، يرفع يديه يارب يارب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، فأنى يستجاب له**» يعني بعيد جدًا أن يستجاب له، وكثير من الناس واقع في هذا الأمر

(١) ج ٣ ص ٢٤٥.

العظيم، ولاسيما المتعاملين مع البنوك، وقد عظم الله جرم الربا، حتى جعل آكله محارباً لله ورسوله، وتوعد عليه بأشد الوعيد والعقاب، ونفى الإيمان عمن لا يجتنبه، وكذا المشارب المحرمة من الخمور بأنواعها، وكل مسكر فهو خمر، سواء شرب أو أكل، أو غير ذلك.

وقد فتن بهذه المحرمات خلائق من الشباب وغيرهم لا يحصيهم إلا الله تعالى، فعلى العبد المؤمن أن يتقي الله، ويراقبه، ويعلم أن حياته هذه منقضية عن قرب فيجتهد في تحصيل ما يرفع درجته عند ربه، ويبتعد عن كل ما هو سبب للبعد عن الله تعالى؛ فإن الأمر قريب جداً والله المستعان.

فالمؤمن ينبغي له أن يعرف الشر ومرتبته في دينه، كما ينبغي أن يعرف الخير ومرتبته أيضاً، ويفرق بين

أحكام الأمور الواقعة، التي عملها الناس، وبين التي يراد إيقاعها ليقدم ما هو أكثر خيراً وأقل شراً، ويدرأ أعظم الشرين باحتمال أدناهما، ومن لم يعرف أحكام الله في عباده أصبحت أقواله وأعماله بجهل، ومن عَبَدَ الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، وبذلك أفسد الدين وغيرت السنن، بل وعبد غير الله، فلابد أن يقترن العلم بالعمل، وأن يكون أصل العمل وأساسه محبة ما يحبه الله ورسوله، وبغض ما يبغضه الله ورسوله.

وقد جعل الله في قلوب بني آدم محبة وإرادة لما يتألهونه ويعبدونه، وذلك هو قوام قلوبهم وصلاح نفوسهم، كما جعل فيهم محبة وإرادة لما يطعمونه وينكحونه، وبذلك تصلح حياتهم ويدوم شملهم، وحاجتهم إلى التأله أعظم من حاجتهم إلى الغذاء فإن

الغذاء إذا فقد يفسد الجسم، وإذا فقد التأله تفسد النفس، ولن يصلح ابن آدم إلا تألهه لله وحده، وعبادته وحده لا شريك له، وهذا هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما في الحديث المتفق عليه: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه**»، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ فيما يخبر به عن الله تعالى أنه قال: «**إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**»[(١)].

وليس معنى قوله ـ ﷺ ـ: «**كل مولود يولد على الفطرة**» أنه حين ولدته أمه يكون عارفاً بالله موحداً له عاقلاً لذلك، كما يتوهمه بعض الناس، وإنما معناه أن

---

(١) مسلم ج ٤ ص ٢١٩٧ - ٢١٩٨.

فطرته تقتضي أن يعرف الله ويوحده ويعبده وحده ويتجه إليه دون ما سواه، فإذا حصل له العلم بذلك وجدت معرفته لربه وحبه له على قدر العلم الذي حصل له، إذا لم تغير فطرته، ويلقن ما يحرفه عن ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]، فتبين أن المقصود بأنه ولد على الفطرة: الاستعداد لقبول الحق ومحبته، وإلا فكل أحد يعلم أن الطفل ليس عنده معرفة بتوحيد الله تعالى ودينه. وعلى كل يجب على العبد أن يكون عبداً لله لا لغيره، ويجب أن يستعين على ذلك بثلاثة رسل: قائد، وسائق، وحاد يبعث كوامن الرغبة في نفسه.

فالقائد هي المحبة لله والتعلق به، وهي مقصودة لذاتها لأنها تلازم العبد في الدنيا والآخرة، والسائق

الخوف من عقاب الله وعذابه في الدنيا والآخرة، والمقصود منه الزجر والمنع من الخروج عن طريق الله الذي نصبه لعباده يسيرون عليه إليه، وهو مراد لغيره؛ فلذلك يزول إذا دخل العبد الجنة. وأما الحادي فهو الرجاء ينشط النفس ويبعثها على الجد، فهذا الأصل يجب أن يعمل العبد به وأن لا يخرج عنه، فإذا ترسمه كان ممن قال الله فيهم: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، ويستعين على ذلك بكثرة ذكر الله، كما أمر جل وعلا بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، ويستعين كذلك بالنظر إلى نعم الله عليه وآلائه، كما أمر الله تعالى بذلك بقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ

اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، فالعبد إذا خلي ونفسه لم يستطع جلب نفع ولا دفع ضر، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل: ١٨]، وقال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] ، فلابد من النظر إلى ذلك وتذكره فهو تعالى الذي سخر للإنسان كل ما في السماء والأرض، وفي وقتنا هذا ازدادت نعم الله علينا الظاهرة بما جد من الصناعات والآلات التي أراحت الناس من عناء الكد، ومكابدة الأسفار، وتعب الحرث ومشقة الأعمال.

وأما النعم الباطنة وأعظمها الإيمان بالله وما يتبعه فقد كان في صدر هذه الأمة أعظم وأعم، ومن حصل له الإيمان بالله تعالى ورسوله، فذلك أعظم النعم على الإطلاق، فعليه أن يغتبط بذلك وينميه، ويعمل على استقراره في قلبه واستدامته، والرغبة إلى الله بتثبيته عليه إلى يوم يلقاه.

والمقصود أن كثرة ذكر الله تعالى وتسبيحه، ومطالعة نعمه تجلب له محبة الله تعالى، وكذلك النظر في وعيد الله والتفكر في القبر وعذابه، والعرض على رب العالمين وحسابه، يبعث على الخوف والانزجار عن معاصي الله تعالى، كما أن النظر في سعة رحمة الله وكرمه وواسع حلمه يبعث على الرجاء، فعلى المؤمن ألا يكون مغلوبًا على أمره، بل يسعى إلى ما يسعده بالطرق الصحيحة المشروعة، وعليه أن يكون نبيهًا على حذر من الوقوع في الفتن، فتن الشبهات والشهوات وهذه هي التي أردت أكثر الناس اليوم، وقد قال رسول الله ﷺ: « **أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم، ومضلات الفتن**»[1].

وفي الصحيحين أنه ﷺ قال: « **حفت النار**

(١) رواه أحمد بسند صحيح جـ٤ ص٤٢٠.

بالشهوات، وحفت الجنة بالمكاره» وفي رواية البخاري: «**حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره**» [(١)] وهذا أبلغ وأشد فإذا كانت الجنة محجوبة بالمكاره، فلا يمكن دخولها إلا بعد ما يتجاوز العبد هذه المكاره ويذوق مرارتها ويعاني مشقتها، وكذلك النار الطريق إليها تدعوا إلى سلوكه شهوات الغي، ومشتهيات الهوى والنفوس البهيمية، وهو سهل السلوك، مزين المورد، ولهذا أكثر بني آدم سائر عليه، كما أخبر الله بذلك ورسوله، وكما هو الواقع المشهود، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [سبأ: ٢٠] وفي حديث بعث النار، من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد إلى الجنة. يعني أنه لا يدخل الجنة من بني آدم إلا من كل ألف واحد فقط.

---

(١) انظر مسلم جـ ٤ ص ١٢٧٤ وفتح الباري جـ ٨ ص ١٢٠.

ومع ذلك فإن العبد إذا انقاد لطاعة ربه، ورضي به معبودًا، وقصده بالحب والذل، صارت عبادته غذاء روحه، وقوام حياته، وغلب جانب الروح الإيماني، على جانب الجسم الشهواني، وهذا هو المقصود من الإنسان؛ أن يُغَلِّب جانب الروح ، فلا يذوق طعم الإيمان وحلاوته إلا بذلك، وإنما يأخذ من حظوظ الجسم ما يكون فيه قوته، وقوته على أعمال العبادة والطاعة، وبذلك يدرك العبد الحياة الحقيقية والسعادة في الدنيا قبل الآخرة، حياة الإيمان بالله والطمأنينة به قال تعالى: ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وهذه حياة الإيمان، ونور الهداية، والعلم بالله تعالى وهي حياة السعداء يجدون لها لذة لا تقاربها ملذات الدنيا، كما كان يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره: « إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة

الآخرة»، والله تعالى يحب أن يعبد بالحب والذل والخضوع له، وقد أمر بذلك وأوجبه على عباده، ووعدهم عليه السعادة والنعيم المقيم، فيجب على العبد أن يحب ما يحبه الله تعالى، وأن ينقاد لأمره قابلاً مستسلمًا راضيًا، وأن يحب ما فيه سعادته وحصوله على النعيم، ثم يترقى من هذا إلى أن تكون عبادة الله تعالى قرة عينه، وغذاء روحه، فتسهل عليه الآلام والأوصاب التي تصيبه في ذلك كما حصل لحارس رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع، لما باتوا قام اثنان من الصحابة يحرسان؛ أنصاري ومهاجري، فقام الأنصاري يصلي، ونام المهاجري، فجاء رجل من الكفار فرأى شخصه، فرماه بسهم فأصابه، فانتزعه من جسمه واستمر في صلاته، ثم رماه بآخر فانتزعه من جسمه واستمر في صلاته، ثم رماه بثالث، عند ذلك ركع وسجد وسلم ثم أيقظ صاحبه، فلامه صاحبه،

على عدم إعلامه أول ما رماه، فقال: إني كنت أقرأ في سورة كرهت أن أقطعها، فلما تابع علي الرمي اعلمتك، وايم الله لولا خوفي أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها. فلم يمنعه ما أصابه من الجراح والألم عن متابعة القراءة؛ لأن ما لديه من حلاوة مناجاة الله، وتلاوة كلامه ينسيه الألم، ولذلك كان عيشهم طيبًا وحياتهم سعيدة مع ما هم فيه من الفقر وقلة ذات اليد، كما في الصحيحين عن أبي موسى قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه، فنَقَبَتْ أقدامنا، ونقبت قدماي وسقطت أظفاري، وكنا نَلَف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا، وحدث أبو موسى بهذا ثم كره ذاك قال: ما كنت أصنع بأن أذكره، كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه[1].

(١) البخاري جـ٥ ص ١٤٥.

ومن نظر في سيرتهم رضي الله عنهم منصفًا علم عظيم قدرهم وكمال حبهم لله ورسوله، وبذلك طاب عيشهم، وكملت هدايتهم، وتمت سعادتهم، فأثنى الله عليهم، ونوه بما أعده لهم من الجزاء العظيم، ونصرهم على أعدائهم، فمن وصل قلبه بالله تعالى في هذه الحياة، بأن اتبع كتابه، فإنه يطمئن قلبه، ويحصل له برد اليقين، ويذوق طعم الإيمان وحلاوته، ويفرح قلبه ويتنعم ويسر بذلك، أعظم من تنعم البدن بأنواع المللذات، ويصير قلبه بالإيمان مستنيراً به، قويًا مقبلاً على الله متعلقًا به، فينال بذلك غذاءه، وريه، وشفاءه وحياته، ونوره، ولذته، ونعيمه، وهذا أجل أنواع النعيم، وأعظم اللذات، والطيبات، وقد قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل: ٩٧]، فكل مؤمن عامل للصالحات له حظ من هذه الحياة الطيبة بقدر إيمانه وعمله.

وليست الحياة في الحقيقة ما يظن كثير من الناس أنها التنعم بأنواع المأكولات والمشروبات والملابس، والنساء، أو لذة الرئاسة والمال، والعمائر، والمراكب والتفنن بأنواع المشتهيات، فإن هذه مشتركة بين بني آدم والبهائم، بل قد تكون البهائم أكثر حظاً في ذلك من الإنسان، وإنما اللذة الحقيقية والحياة هي اللذة والحياة التي إذا خالطت القلب أنسته الأبناء والنساء والأوطان والأموال، والمساكن والإخوان، ورضي عن ذلك كله وخرج مهاجراً إلى ربه مستغنياً بهداه، وعرّض نفسه في سبيل ذلك لأنواع المكاره والمشقات، وهو طيب العيش ناعم البال، مستلذاً لما يصيبه في ذلك، منشرحاً له صدره.

لما قال رسول الله ﷺ يوم بدر: « **والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة**» قال عمير بن الحمام -

ـ وكان بيده تمرات يأكلهن ـ : بخ بخ ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، ثم رمى بالتمرات من يده، وأخذ سيفه فأقبل يقاتل وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد
إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد
وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

حتى قتل رضي الله عنه.

والمسلمون اليوم بأشد الحاجة إلى معرفة فضائل الصحابة، وكريم معدنهم، وأثر تربية رسول الله ﷺ فيهم وما كانوا عليه من علو المنزلة، التي نالوا بها ثناء الله تعالى عليهم، ومن المؤسف أن أخبار أولئك الأخيار قد طرأ عليها من التحريف، والبتر، والزيادة، وسوء التأويل والأغراض، من قلوب قد

شحنت بالغل على أفضل هذه الأمة، فأنكرت عليهم حتى نعمة الإسلام، وقد أصبح من الفرض على كل من يستطيع تصحيح تاريخ صدر الإسلام على طريقة المحدثين، ووضع ذلك بين يدي شباب هذه الأمة حتى يكون ذلك قدوة لهم، ودافعًا إلى النهوض بالأمة إلى ما فيه عزتها ورفعتها.

ومن المعلوم ما عليه المسلمون اليوم في أنحاء المعمورة من الضعف أمام الكفار، وتسلط أعدائهم على التحكم فيهم، ولو أنهم تمسكوا بدينهم، واقتفوا أثر نبيهم واهتدوا بهديه لنصرهم الله على جميع من ناوأهم، على ما بهم من ضعف في الاستعداد وآلات الحرب التي يمتلكها أعداؤهم.

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك، ووثقوا بالله تعالى واعتمدوا عليه، لأنهم قد تعلموه من نبيهم ﷺ فنصرهم الله في كل موطن نصرًا

مؤزرا.

فيوم الخندق قد أحاط عدو المسلمين بالمدينة من كل جانب، وأحكموا حصارها، وظنوا أنهم يقضون على المسلمين نهائيًا كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١] ابتلو بهذه الشدائد والكرب، حيث أحاط بهم أعداؤهم من الخارج ومن الداخل، فمن خارج المدينة جاءتهم قريش بقضها وقضيضها بعشرة آلاف مقاتل، ومعها غطفان، وبنو فزارة، وبنو مرة، وبنو طريف بن سحمة وغيرهم من المشركين، ومن داخلها اليهود، وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٠]، وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف، فهزم الله أعداءهم جميعًا شر هزيمة لم ينالوا خيرًا، لما ظهر

ثبات المؤمنين، وصدقهم وثقتهم بوعد الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢] بخلاف المنافقين، فإن الخوف والهلع، وسوء الظن بالله ورسوله جعلهم يظهرون ما كانوا يبطنونه في حالة الرخاء، وهذا شأن كل منافق.

قال الله تعالى ممتنًا على المؤمنين بصبرهم وثباتهم وتصديقهم وعد الله ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩] إلى قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا

تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥ - ٢٧].

ولا يقال هذ النصر بالريح والجنود غير المرئية خاص برسول الله ﷺ ومن معه، فكل من اهتدى بهديه وسار على نهجه لابد أن يحصل له من النصر والتأييد بحسب تمسكه بكتاب الله وسنة نبيه، كما حصل لصحابته بعده من النصر والظفر الذي لم يعرف له نظير في الدنيا مع قلة عددهم وعُدَدِهم بالنسبة لأعدائهم.

وليعلم أنه لابد من العمل الجاد، ولابد من النصب والكد، ولابد من الأهبة والاستعداد فرسول الله ﷺ، وهو أشرف الخلق وأحبهم إلى الله تعالى يشارك أصحابه في حفر الخندق، وحمل التراب حتى يواري التراب جلد بطنه، ويجوع معهم ولابد

من قوة الإيمان بالله تعالى والثقة بوعده، مع ثبات العزائم، والصبر على الشدائد، والتأسي بخير أسوة رسول الله ﷺ.

ومن طالع سيرة رسول الله ﷺ، وسيرة صحابته بعده ـ علم أن تلك الطلائع التي أقام الله بها شوامخ صروح هذا الدين إنما قامت على الصبر على المحن، والنضال المتواصل المضني.

وقوة العزائم، ووزن الدنيا في واقعها بميزانها الحقيقي، فلم يركنوا إليها، ولا كان أملهم الترأس، وطلب السلطة، والحصول على الوظائف التي يترفعون بها على الخلق، أو يجنوا ثمارها، فقد عرفوا الدنيا وعرفوا سرعة زوالها فلم يغبنوا أنفسهم بها، كما أنهم عرفوا الآخرة وجعلوها نصب أعينهم، فلخلودها يعملون وعليها يحرصون، ولذلك هان عليهم بذل نفوسهم وأموالهم في سبيلها راغبين بها عن الدنيا

بديلاً فكان أحدهم يخرج عن ماله لله ولرسوله، وكانوا يتسابقون إلى ما يرضي الله ورسوله.

فلابد لمن يريد ترسم خطاهم بنشر رسالة الحق بين الخلق، والوقوف في وجه الباطل والشر والفساد، أن يهيىء نفسه لتحمل المكاره، والصبر على ما يناله في سبيل الله كما صبر المؤمنون على البلايا والمحن، ولابد من بذل النفوس في سبيل إقامة الحق ونشر دين الله في الأرض، إنقاذاً للناس من أوضار الشرك ورجس الوثنية وضلال الأفكار التي نبتت على أرض الإلحاد ورجس الوثنية وضلال الأفكار التي نبتت على أرض الإلحاد والزندقة، وانحراف الفطر عن سنن الله تعالى إلى سنن الجاهلية وتراثها المرذول، وعبادة الشهوات، والأموال ومظاهر الدنيا.

ومع ذلك لابد من إعداد العناصر السباقة إلى ما يطلب منها في سبيل دين الله تعالى في كل ما يقوي

الحق ويظهره، ويعز أهله وينصرهم، ويضعف الباطل وحزبه ويقهره، مثل بث العيون ومعرفة ما لدى العدو من قوة واستعداد، وكذلك محاربة العدو بما يسمونه اليوم بالحرب النفسية، كما فعل نعيم بن مسعود الأشجعي يوم الخندق.

وعلى كل فما أصاب المسلمين من ذلة ومهانة وتسليط الأعداء عليهم؛ كله بسبب عصيانهم وتركهم تعاليم دينهم، وإعراضهم عن خالقهم، وإقبالهم على الدنيا، والتكالب عليها.

ولما حصل من أفضل هذه الأمة بعد نبيها، وهم الصحابة مخالفة أمر رسول الله ﷺ بما لم يكونوا يرونه معصية، سلط عليهم العدو فقتل منهم سبعين وشج وجه رسول الله ﷺ وكسرت البيضة على رأسه، وكسرت ثنيته وقتل عمه صلوات الله وسلامه عليه، ولما شق ذلك على الصحابة، وأشكل عليهم، كيف

يدال عليهم وهم المؤمنون ومعهم رسول الله ﷺ أنزل الله قوله: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] أي بسبب عصيانكم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، فلابد من طاعة الله وطاعة رسوله، والتمسك بذلك والحذر من المخالفة والمعصية، كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يوصي بعضهم بعضًا بالحذر من المعصية فإنها سبب تسليط العدو، ثم إعداد العدة والتوكل على الله تعالى والتوسل إليه ببذل النفوس في طاعته بأن ينزل نصره وتأييده، فإذا صدق العبد مع ربه فهو تعالى معه بنصره وحفظه وتأييده.

وأما تفرق المسلمين واختلاف قلوبهم الذي أصيبوا به في هذا الوقت فهو بسبب عدم اهتمامهم بدينهم وعدم تطبيقهم تعاليمه، وضعف إيمانهم، فترى المسلمين اليوم عددهم كثير لكنهم غثاء كغثاء السيل نزعت من قلوبهم المهابة وقذف فيها الوهن، الذي هو حب الدنيا وكراهية الموت، وأحاطت بهم الأعادي كإحاطة الأكلة على مأكولهم.

وذلك لأنهم تنازعوا فتفرقت قلوبهم ففشلوا، وذهبت ريحهم، فخالفوا أمر الله وارتكبوا ما نهاهم عنه. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٤٦] أي قوتكم وهيبتكم، وهذا هو الداء الذي إذا حل بقوم أصبحوا نهبة لعدوهم، كما هو واقع المسلمين اليوم حتى ذهبوا يطلبون النصر والنصف من عدوهم.

ومن العجب قرب دواؤهم وما فيه نصرهم وهم

عنه معرضون، ولن يحصل لهم نصر وعز إلا بعودتهم إلى دينهم واتباع كتاب ربهم الذي جاءهم به نبيهم، والذي فيه حياتهم والنور الذي يكشف لهم عن الحق والباطل، فيريهم الحق حقًا، والباطل باطلاً، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ومن أخرجه الله من الظلمات إلى النور، أبصر الحق واهتدى به وأبصر الباطل وجانبه وحاربه، بخلاف ما عليه المسلمون اليوم من الجهل بما يحاك لهم من مؤامرات ومخططات رهيبة تحدق بهم من جميع الجوانب وهم في غفلة

عنها، فهناك مخططات يهودية ونصرانية وإلحادية باطنية، وشيوعية، تعد ويدبر لها للقضاء على المسلمين، وهم غافلون.

يدل على ذلك تأييد كثير من أهل السنة لثورة الخميني، التي شارك في تصميمها والتخطيط لها قادة الكفر الذين أزعجهم ما يتشدق به كثيرون من كتاب المسلمين، من أن هناك صحوة في بلاد الإسلام بين شباب المسلمين، ومطالبات بتحكيم شرع الله في بلاد الإسلام، فهال زعماء الكفر ما يسمعون، وخافوا عودة الإسلام من جديد إلى السيادة والقيادة، فأسرعوا بتخطيطهم الماكر إلى القضاء على ما عساه أن يوجد في بلاد المسلمين من اتجاه إلى العودة إلى الإسلام بإيجاد دولة الرفض التي تنهج ما سلكه متقدموها من القرامطة والإسماعيلية والعبيديين، وبني بويه، وابن العلقمي، ونصير الكفر الطوسي،

وأمثالهم، إن رجال دولة الخميني يحيكوا المؤمرات ضد المسلمين من أهل السنة، وجمهور كبير من أبناء أهل السنة يصفقون لهم، وهم يستعدون للانقضاض على دويلات الخليج بعد الانتهاء من العراق ثم على جميع شبه الجزيرة العربية وغيرها وأهمها مكة والمدينة مهما كلفهم ذلك، ولن يقفوا دون أي بلد من بلدان أهل السنة وهم يستطيعون الوصول إليه.

إن من أخطر ما يواجهه العالم الإسلامي اليوم دعوة الرافضة إلى مذهبهم الخبيث.

ووجه الخطورة في ذلك من عدة أمور:

أحدها: جهل أكثر أهل السنة بحقيقة مذهبهم.

الثاني: عدم المقاومة لدعوتهم، فقد خلي لهم الميدان، إلا ما شاء الله.

الثالث: تلبيسهم على الناس بأن دعوتهم إسلامية وأنهم يدعون إلى الإسلام ويناصرونه وأنهم

هم الذين يمثلون الإسلام على الحقيقة كما يزعمون، ولذلك سموا ثورتهم الثورة الإسلامية، وجيوشهم التي أعدوها للقضاء على أهل السنة الجيوش الإسلامية.

والحقيقة أن إسلامهم غير الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ لا في مصدره ولا في اتجاهه، ولا في مقصده وغايته، فمصادرهم مثل كتاب الكافي المشحون بالكفريات والضلالات، والكذب والتزوير، كالأحاديث التي يرويها عن أئمتهم - كما زعم - والتي فيها أن القرآن ناقص، وأنه محرف، وأن الأئمة يوحى إليهم، وأنهم يعلمون ما يعلمه الله، يعلمون ما كان، وما يكون، وأنهم لا يخفى عليهم شيء، وأنهم لا يموتون إلا إذا أرادوا، كل ذلك فيه وأكثر منه، وهو من أهم كتبهم، بل هو أهمها وأعظمها عندهم، وفيه تكفير الصحابة، وفيه من

الفضائح والعظائم غير ذلك.

ولا يظن ظان أن رافضة اليوم غير رافضة الأمس، بل هم اليوم أكثر تطرفًا، وأشد حنقًا على المسلمين، والعاقل إذا نظر في كتبهم التي يعتمدون عليها قديمًا وحديثًا يستبعد أن مسلماً يكتب مثلها فضلاً عن العمل بها، يقول في الكافي في المجلد الأول ص ١٧٦ الطبعة الثالثة في شيراز سنة ١٣٨٨ يقول: «كتب الحسن بن العباس المعروفي إلى الرضا: جعلت فداءك أخبرني ما الفرق بين الرسول و النبي والإمام؟ قال: فكتب. أو قال: الفرق بين الرسول والنبي والإمام: أن الرسول الذي نزل عليه جبريل فيراه، ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم، والنبي ربما يسمع الكلام، وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص».

وفيه قال: سألت أبا جعفر عن قول الله عز وجل: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥١] ما الرسول وما النبي؟ قال: النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك، قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يري ولا يعاين الملك ثم تلا هذه الآية: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث» ثم علق على كلمة محدث وقال: «إنما هو في قراءة أهل البيت، وعلى هذا لا فرق بين النبي والإمام. وفي صفحة ٢١٩ قال: باب عرض الأعمال على النبي والأئمة»، وفي ص ٢٢٧ باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله، وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتهم، وفي ص ٢٢٨ باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة وأنهم يعلمون علمه، وفي

ص ٢٥٥ باب أن الأئمة يعلمون كل العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل، وفي ص ٢٥٨ باب أن الأئمة إذا شاءوا أن يعلمون علموا. وفي نفس الصفحة باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم، وفي ص ٢٦٠ باب أن الأئمة يعلمون ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء، وفيه نصوص أخرى مثل هذا الكلام، فأئمتهم عندهم أنبياء يوحى إليهم، ورسل أيضًا لأنهم مأمورون بتبليغ ما يوحى إليهم، ولهذا ادعوا لهم العصمة من القول خلاف الحق، بل ومن الخطأ والسهو والنسيان، وبذلك يكونون عندهم أعظم من الرسل عند أهل السنة فإن الرسل عند أهل السنة يجوز عليهم السهو والنسيان كما جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**إنما أنا بشر أنسى كما تنسون**».

ولا تحسبن هذه العقيدة كانت ثم بانت، بل هي

عقيدة الخميني ودولته اليوم، فهو يقول في كتابه « الحكومة الإسلامية» في ص٥٠ : « فإن للإمام مقامًا محمودًا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون» فالإمام عند هذا الخميني بمنزلة الرب حيث أن خلافته تكوينية تسيطر على كل شيء.

ويقول في نفس الصفحة المذكورة: « والأئمة الذين لا تتصور فيهم السهو أو الغفلة»، ويقول فيها أيضًا: « وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل» ويقول في ص١١٣ من الكتاب المذكور: « إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن يجب تنفيذها واتباعها»، وبعض من هذه الأقوال كفر عند من يعلم دين الله ويؤمن بالله، فهل قال مثل أقوال الخميني وسابقيه من أئمته أحد ممن ينتسب إلى دين سماوي مثل اليهود والنصارى وهل

ينتبه المغرورون بالخميني وأتباعه، الذين يخططون للقضاء على الإسلام والمسلمين، وهل يتنبه الغافلون عن معاول الهدم التي جاءت راياتها من إيران تقودها العمائم السود، والتي انتشرت في جميع قارات الأرض، تنشر مذهب الرفض، وتضلل الناس وتشككهم في دينهم، وهل يتنبه حكام المسلمين لخطر هؤلاء الذين يديرون ضدهم المؤامرات، إن الخميني في تصريحاته يقول أنه سيحرر مكة والمدينة قبل تحرير القدس من اليهود، لأنه يعادي المسلمين أكثر من عداه لليهود، وما جاءت دولة الخميني إلا لهدم الإسلام، إن من الواجب على المسلمين اليوم وخاصة الشباب أن يعرفوا هؤلاء على حقيقتهم، فيعرفوا عقائدهم وما يبطنونه من العمل على القضاء على الإسلام، ومذهب الرفض في الأصل أوجد لذلك، ولهذا بدأوا بأصل الإسلام فطعنوا فيه، طعنوا في الصحابة بأنهم كفرة

مرتدون منافقون؛ لأن الإسلام لم يصل إلينا إلا عن طريقهم، فهم الواسطة بيننا وبين رسولنا ﷺ، فإذا كانت الواسطة التي نقلت لنا الإسلام عن رسول الله ﷺ كافرة، فنقلها غير مأمون وغير موثوق به، بل يجوز أنها نقلت الكفر بدل الإسلام، وهذا سر طعنهم في الصحابة.

وكذلك طعنوا في القرآن، وزعموا أنه ضاع منه أكثر من ثلاثة أرباعه كما قال في الكافي جـ١ ص٢٢٨ «سمعت أبا جعفر يقول: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله إلا علي والأئمة من بعده»، وفي ص ٢٣٩ يقول عن الإمام أبي عبد الله: «وإن عندنا لمصحف فاطمة، وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟! قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف

واحد» ، والنقول عن كتبهم الموثقة عندهم كثيرة جداً حتى أن أحد أئمتهم ألف كتابًا سماه: « فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب».

والمسلمون لا يختلفون في أن من زعم أن القرآن قد نقص منه حرف واحد، أو أن فيه زيادة على ما أنزل الله أنه كافر.

وليس من شك أن من زعم أن القرآن قد ضاع ثلاثة أرباعه أو أن هذا المصحف الذي بين أيدي المسلمين ليس هو كلام الله الذي أنزل على نبيه محمد ﷺ أنه دعي في الإسلام، وأن أمره أعظم من أن يقال: أنه كافر، بل لا ينبغي أن يرتاب أن مثل هذه مزاعم زنادقة قالوا أنهم أسلموا؛ ليقوضوا دعائم الإسلام، وليضربوه الضربة المميتة، ولاشك أن الذين يصارحون بعداوة الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم أقل ضرراً على الإسلام والمسلمين من هؤلاء

الذين يزعمون أنهم المسلمون وحدهم، وأنهم يحامون دون الإسلام.

فكيف تقبل مصانعة هؤلاء الذين هذه بعض عقائدهم، ولا يظن ظان أن هذا تقول عليهم أو أنه مبالغ فيه، فما يبطنونه للإسلام والمسلمين أعظم من ذلك، ومن خالطهم، وسبر أحوالهم علم ذلك يقينًا، وكذلك الذي يقرأ كتبهم، وفي مبادئهم الدينية عدم الولاء لأي خليفة أو أمير من غير الرافضة.

قال محب الدين الخطيب رحمه الله: « والحقيقة الخطيرة التي نلفت إليها أنظار حكوماتنا الإسلامية أن أصل مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية التي تسمى أيضًا الجعفرية قائم على اعتبار جميع الحكومات الإسلامية من يوم وفاة النبي ﷺ إلى هذه الساعة، عدا سنوات حكم علي بن أبي طالب حكومات غير شرعية، ولا يجوز لشيعي أن يدين لها بالولاء،

والإخلاص من صميم قلبه، بل يداجيهم مداجاة، ويتقيهم تقاة، لأنها كلها ما مضى منها وما هو قائم، وما سيقوم منها تعد حكومات مغتصبة».

والحكام الشرعيون في دين الشيعة وصميم عقيدتهم هم الأئمة الإثنا عشر وحدهم، سواء تيسر لهم مباشرة الحكم أو لم يباشروه، وكل من عداهم ممن تولوا مصالح المسلمين من أبي بكر وعمر إلى من بعده حتى الآن، مهما خدموا الإسلام، ومهما كابدوا في نشر دعوته وإعلاء كلمة الله في الأرض، وتوسيع رقعة الإسلام، فإنهم مفتئتون مغتصبون إلى يوم القيامة، ولذلك يلعن الشيعة أبا بكر وعمر وعثمان، وكل من تولى الحكم في الإسلام غير علي» الذي جعلوه جدارًا يتقون، ويرمون الإسلام من ورائه، لا حبًا له و لأبنائه وإنما للتقية والتموية على عمي البصائر.

يقول الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية في الصفحة الثالثة والثلاثين: «في صدر الإسلام سعى الأمويون ومن يسايرهم لمنع استقرار حكومة الإمام علي بن أبي طالب، وبمساعيهم البغيضة تغير أسلوب الحكم ونظامه، وانحرف عن الإسلام؛ لأن برامجهم كانت تخالف وجهة الإسلام في تعاليمه تمامًا، وجاء بعدهم العباسيون ونسجوا على نفس المنوال وتبدلت الخلافة إلى سلطنة موروثة، واستمر ذلك إلى يومنا هذا». فجعلهم مخالفين للإسلام تمامًا بما فيهم عمر بن عبد العزيز، وأشار إلى الخلفاء الراشدين بقوله: ومن يسايرهم.

ويرمي بالجهل والكفر كل الخلفاء الذين تعاقبوا على خلافة الأمة الإسلامية كما يقول عن هارون الرشيد في ص١٣٢ من كتابه الحكومة: «أي ثقافة حازها وكذلك من قبله ومن بعده»، ولكونهم يرون

الحكم في الأرض خاصًا بهم، اقتفاءً لسلفهم المجوس الذين يرون الناس كلهم عبيدًا لهم، يقول الخميني في كتابه المذكور ص٥٤: «ولم تسنح الفرصة لأئمتنا للأخذ بزمام الأمور، وكانوا بانتظارها حتى آخر لحظة من الحياة، فعلى الفقهاء والعدول أن يتحينوا هم الفرص، وينتهزوها من أجل تنظيم وتشكيل حكومة رشيدة».

وما هي الحكومة الرشيدة في نظر الخميني وفريقه، لاشك أنها التي تقتل أهل السنة شر قتلة، وتستولي على ما بأيديهم من البلاد والأولاد والأموال وتمحو مذهبهم من الوجود، ومن أجل ذلك يقاتل الخميني ودولته لتنفيذ هذا الإجرام، ويثني كثيرًا على سلفه الذين فعلوا بالمسلمين ما لم تفعله اليهود ولا النصارى مثل النصير الطوسي.

فيقول: أنه قدم الخدمات العظيمة، ويعني

بالخدمات قتله المسلمين؛ حيث قتل العلماء والقضاة وغيرهم مقتلة لم يقع مثلها في التاريخ وأحرق مكتباتهم.

يقول في كتابه الحكومة ص ١٢٨ : « ويشعر الناس بالخسارة بفقدان الخواجه نصير الدين الطوسي وأمثاله ممن قدموا خدمات جليلة للإسلام ».

والطوسي هذا هو وابن العلقمي ومستشاره ابن أبي الحديد هم أعداء الله الذين ارتكبوا مع هولاكو الذبح الرهيب في الأمة الإسلامية سنة ٦٥٥ عند استيلاء الأخير على عاصمة الخلافة، بسبب خيانة هؤلاء الذين يثني عليهم الخميني بأنهم قدموا الخدمات للإسلام وأن فقدهم خسارة.

قال ابن القيم: « ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد وزير الملاحدة النصير الطوسي وزير هولاكو؛ شفي نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه

فعرضهم على السيف حتى شفى إخوانه من الملاحدة واستشفى هو، فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين، واستبقى الفلاسفة والمنجمين، والطبائعيين والسحرة، ونقل أوقاف المدارس والمساجد والربط إليهم، وجعلهم خاصته وأولياءه، وبالجملة فكان هذا الملحد هو وأتباعه من الملاحدة الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»[(١)].

هذا هو الذي يثني عليه الخميني ويسعى إلى أن يتمكن فيقتدي به فيفعل بالمسلمين كما فعل ومع هذا كله يجهل كثير من المسلمين مذهبه ونواياه التي تدل عليها كتاباته وتصريحاته مما يكنه من الحقد على الإسلام والمسلمين، وإن من العجيب أن يعتبره كثير من المسلمين مصلحًا وداعيةً إلى إقامة حكومة إسلامية

(١) إغاثة اللهفان ج ٢ ص٢٦٣.

يشترك فيها مع فريق الرفض أهل السنة، وهذا والله غاية الجهل والسذاجة.

فعلى العلماء أن يبينوا خطر هؤلاء، ويحذروا المسلمين شرهم وعدم التعاون معهم وأن يكونوا على أهبة الاستعداد لدفع شرهم عن الإسلام والمسلمين، وقد روى الآجري في السنة من حديث معاذ، قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا حدث في أمتي البدع، وشتم أصحابي، فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** ».

كما أنه يجب على المسلمين أن يكونوا على بينة من أعدائهم، فلا يغتروا بأهل النفاق والتقية الذين يتحينون الفرص للانقضاض عليهم وهم دائمًا على استعداد للتعاون مع الكفرة والملاحدة على المسلمين.

وتاريخ المسلمين مليء بالعبر والعظات وقد قال

رسول الله ﷺ : « **لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين** » يعني أنه فطن يقظ ، وقد أجرى الله تعالى سنته في خلقه أن يكون بين الحق والباطل صراع ومحاربة ، ولهذا قص الله علينا في كتابه ما وقع للأنبياء مع أممهم بأساليب مختلفة ، فمرة بالتطويل ومرة بأسلوب وسط وأخرى بإيجاز ، علنا نفقه سرها والغاية منها ، ومن تكرارها فيذكر ما فعله بالصالحين جزاءً لهم على استقامتهم ، وما أوقعه بالمفسدين عقوبة لهم على كفرهم وطغيانهم ، ويرينا أن هذه سنته في خلقه ، وأن الشعوب التي لا صلة لها بالله إلا بطاعته واتباع رسله يُمكّنُ لها في الأرض ويغدق عليها من النعم إذا هي وقفت عند ما رَسَمَ لها من حدود ، وما شرع لها من أحكام ، ويذيقها العذاب ألوانًا ويسلط عليها من يسلبها عزها وسلطانها إذا هي تنكبت طريق الهدى التي بينتها رسل الله ، قال تعالى : ﴿ **فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ**

أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، ومن ذلك قصة أبي البشر آدم عليه السلام، فإن الله تعالى لما شرفه على سائر خلقه حيث خلقه بيده وأسكنه جنة عدن، قدر عليه المعصية فأهبطه إلى أرض التكليف والابتلاء، وعرضه للمصائب والمحن، لأنه في زمن اختبار، به يتبين إهانته ومصابه، أو نجاحه وكرامته.

وأهبطه الله تعالى إلى ميدان الامتحان والابتلاء، وأهبط معه عهده الذي عهده إليه وإلى ذريته، وأكد له ولذريته أنه إن تمسك بهذا العهد الكريم، فسوف يكون حليف السعادة والسيادة في أي وقت كان، وأن الله معه في نصره وتأييده، وحفظه وتسديده، ثم يكون مآله إلى رضوان الله وجنته التي سلبه منها عدوه.

أما إذا أعرض عن عهد ربه ونسيه فإنه يكون في

الضنك والشدة، والبؤس والشقاء، ينتقل من شقوة إلى أعظم منها في دوره الثلاث قال تعالى: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٧] فذكر أنه يعذبه في الدنيا وفي المحشر، وأن ما بعد ذلك أشد وأبقى، بخلاف من اتبع هدى ربه فإنه يهتدي، ولا يناله شيء من الشقي، وفي الآية الآخرى: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

[البقرة: ٣٨] وقوله: « فأما » هذه أن الشرطية المؤكدة بما الدالة على استغراق الزمان.

والمعنى في أي وقت وحين أتاكم مني هدى فمن تمسك به واتبعه فإنه لا يضل ولا يشقى، ولا خوف عليه في مستقبله ولا يحزن على ما خلفه، ومن أعرض عنه فالشقاء ملازمه، والتعاسة حليفه وقرينه.

فجعل تعالى هداه وعهده إلى أبينا آدم سببًا مقتضيًا لعدم الخوف والحزن، والضلال والشقاء، وهذا جزاء ثابت بثبوت الشرط الذي هو التمسك بهذا العهد، ومنتف بانتفائه، ونفي الخوف والخزي والضلال والشقى عن متبع الهدى نفي لجميع أنواع الشرور والمكروه.

فإذا انتفى ذلك حصل الخير والسرور، وهذا لا يمنع أن يحصل للمؤمن خوف في الدنيا أو في قبره أو يوم القيامة، ولكن لا يلحقه ولا يصيبه المخوف قال

ابن عباس: «تكفل الله لمن قرأ القرآن، وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة»، وذلك لأن الضلال في الدنيا هو أصل ضلال الآخرة وشقاءها، وإلا فالآية نفت عن متبع الهدى مسمى الضلال والشقاء في الدنيا والآخرة.

وقد علم بالمشاهدة أن من عاش على شيء يموت عليه، وجاء في الحديث: «**إن من مات على شيء بعث عليه**»، وقال الله تعالى﴿ **وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٧٢]، وقال عن المنافقين: ﴿ **يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ** ﴾ [المجادلة: ١٨] فأخبر أن من كان في الدنيا في عمى عن الهدى فهو في الآخرة أشد عمى وضلالاً، كما أخبر عن المنافقين أنهم يستعملون نفاقهم مع الله في الآخرة، فيحلفون له أنهم ما فعلوا الكفر، وما يسألهم

عنه، كما كانوا يحلفون في الدنيا للنبي ﷺ والمؤمنين بأنهم معهم، وليسوا مع الكفار، ويظنون أن ذلك نافعهم كما كان ينفعهم في الدنيا بإعراض المؤمنين عنهم.

الفهرس

[illegible]

صدر عن دار لينة للنشر والتوزيع ما يلي

١- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله بن محمد الغنيمان، مجلدين
٢- مختصر منهاج السنة، عبد الله بن محمد الغنيمان، مجلدين
٣- هذا الحبيب يا محب، أبو بكر جابر الجزائري، مجلد
٤- المسجد وبيت المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، مجلد
٥- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، د. غالب العواجي، مجلدين
٦- كتاب المتون لأبي الوفاء ابن عقيل (مخطوطة باريس الوحيدة)، مجلدين
٧- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام بن تيمية، محقق، تحقيق د. ربيع بن هادي المدخلي. مجلد واحد
٨- كتاب المنبر، أبو بكر الجزائري، مجلد وغلاف
٩- نداءات الرحمن لأهل الإيمان، للجزائري، مجلد وغلاف
١٠- كتاب تنبيه النبيه والغبي في الرد على المدراس والحلبي، (من مجموع الرد الوافر)، مجلد
١١- الصفات للدارقطني، تحقيق. عبد الله بن محمد الغنيمان، غلاف
١٢- الصفات الإلهية، عبد الرحمن الوكيل، غلاف
١٣- البراهين الموضحات، غلاف
١٤- مجلة المنار للشيخ رشيد رضا، كعب جلد، ٣٥ جزء في ٣٤ مجلد
١٥- الجنة دار الأبرار، للجزائري، غلاف
١٦- إلى اللاعبين بالنار، للجزائري، غلاف
١٧- الإعلام بأن العزف والغناء حرام، للجزائري، غلاف
١٨- الطرق التي يعلم بها صدق الخبر من كذبه، عبد الله بن محمد الغنيمان، غلاف
١٩- بيان الدليل في بطلان التحليل لشيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق د. فيحان المطري، مجلد
٢٠- المرأة المسلمة، للجزائري، غلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة أضواء المنار

المدينة المنورة : ت / ف : 8471771

ص . ب : 5491

قائمة الإصدارات الجديدة

م	اسم الكتاب	عدد الأجزاء	اسم المؤلف	السعر ر . س	ملاحظات
1.	مجلة المنار	35	الشيخ رشيد رضا	2000	كعب جلد
2.	هذا الحبيب يا محب	مجلد	الشيخ أبو بكر الجزائري	30	لف
3.	أيسر التفاسير	5	الشيخ أبو بكر الجزائري	120	لف
4.	منهاج المسلم	مجلد	الشيخ أبو بكر الجزائري	30	لف
5.	بيان الدليل في بطلان التحليل	مجلد	شيخ الإسلام - تحقيق د. فيحان المطيري	38	لف
6.	فرق معاصرة تنتسب للإسلام	2	د . غالب العواجي	60	لف
7.	الخوارج	مجلد	د . غالب العواجي	30	لف
8.	الحياة الآخرة	2 و 3	د . غالب العواجي	85	لف وكعب
9.	نداءات الرحمن	مجلد وغلاف	الشيخ أبو بكر الجزائري	20	لف وغلاف
10.	المسجد وبيت المسلم	مجلد	الشيخ أبو بكر الجزائري	25	لف
11.	شرح كتاب التوحيد	مجلدين	الشيخ عبد الله الغنيمان	60	لف
12.	مختصر منهاج السنة	مجلدين	الشيخ عبد الله الغنيمان	55	لف
13.	لا يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولها	غلاف ا	الشيخ عبد الله الغنيمان	4	غلاف
14.	دليل القارئ	مجلد	الشيخ عبد الله الغنيمان	40	لف
15.	قاعدة جليلة في التوسل	مجلد	ابن تيمية - تحقيق : د . ربيع بن هادي	25	لف
16.	الانتصار لأصحاب الحديث	غلاف	د. محمد الجيزاني	12	غلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة أضواء المنار

المدينة المنورة : ت / ف : 8471771

ص . ب : 5491

قائمة الإصدارات الجديدة

م	اسم الكتاب	عدد الأجزاء	اسم المؤلف	السعر ر . س	ملاحظات
17.	إذاعة القرآن الكريم	مجلد	د . محمد إسماعيل	35	لف
18.	الفنون	مجلدين	أبو الوفاء ابن عقيل	55	لف
19.	المنبر	مجلد	الشيخ أبو بكر الجزائري	20	لف
20.	عقيدة أهل السنة والجماعة	غلاف	الشيخ محمد العثيمين	4	غلاف
21.	الصبر	غلاف	الشيخ عاطر الجهني	1	غلاف
22.	الكبر	غلاف	الشيخ عاطر الجهني	1	غلاف
23.	من أسرار الأرقام	غلاف	الشيخ عاطر الجهني	1	غلاف
24.	من أسرار التسبيح	غلاف	الشيخ عاطر الجهني	1	غلاف
25.	المرأة المسلمة	غلاف	الشيخ أبو بكر الجزائري	10	غلاف
26.	الصفات	غلاف	الدارقطني – تحقيق : عبد الله الغنيمان	5	غلاف
27.	الدعاء	غلاف	الضبي – تحقيق : أحمد البزرة	10	غلاف
28.	تنبيه النبيه والغبي	مجلد	من مجموع الرد الوافر	20	غلاف

تطلب منشوراتنا من مكتبة أضواء المنار
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة -
طريق أبي بكر الصديق في مواجهة بوابة الجامعة الإسلامية

هاتف: ٨٤٧١٧٧١ - ٨٣٧٠١٨٥